﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة: 165]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تـقـريـرُ دَلائِـلِ الـتَّـوحـيـدِ، والـنَّـصُّ عَـلى تَقْبيحِ ما يُضادُّهُ

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تعالى الأَدِلَّة عَلَى وحْدَانِيَّتِه في الآيَةِ السَّابِقَة، أَخْبَرَ أَنَّ قَوْمًا بَعْدَ ذَلِكَ البَيَانِ يَتَّخِذُونَ الأَنْدَادَ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ[1]، فلمّا قَرَّرَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى التَّوْحِيدَ بالدَّلَائِل، أَرْدَفَ ذَلِكَ بِتَقْبِيحِ مَا يُضَادُّ التَّوْحِيدَ؛ لِأَنَّ تَقْبِيحَ ضِدِّ الشَّيْءِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ حُسْنَ الشَّيْءِ، وبِضِدِّهَا تتميّزُ الأَشْيَاءُ؛ فلِهَذَا السَّبَبِ أَرْدَفَ اللَّهُ تعالى الآيَةَ الدَّالَّةَ عَلَى التَّوْحِيدِ بِهَذِهِ الآيَةِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

اتّـخـاذُ غَـيْرِ اللهِ إلـهًـا ضـلالٌ في الـسَّـعْـيِ، وانْـحِـرافٌ في القَصْدِ

1) ﴿يَتَّخِذُ﴾: مِنَ الجذْرِ (أَخَذَ)، وأَصْلُ هذه المادّة: حَوْزُ الشَّيْءِ وجَبْيُهُ وجَمْعُهُ، وهُوَ التَّنَاوُلُ، خِلَافُ العَطَاءِ[3]، والاتِّخَاذُ افْتِعَالٌ مِنْهُ، ويُعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ، ويَجْرِي مَجْرَى الجَعْلِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: 51]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الشّورى: 9][4].

لا نِـدَّ لِـلّـهِ في ذاتِهِ، ولا شَريكَ لَهُ في مُلْكِهِ

2) ﴿أَندَادًا﴾: مِنَ الجذْرِ (ندد)، ونَدِيدُ الشَّيْءِ: مُشَارِكُهُ في جَوْهَرِهِ، مِنَ المُمَاثَلَةِ، وكُلُّ نِدٍّ مِثْلٌ، ولَيْسَ كُلُّ مِثْلٍ نِدًّا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: 165][5]، ولَا يَكُونُ

(1) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/466.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/174.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخذ).
(4) الراغب، المفردات: (أخذ).
(5) الراغب، المفردات: (ندد).

النِّدُّ إلَّا مُخَالِفًا[1]، وفُلَانٌ نِدُّ فُلَانٍ، أَي: مِثْلُهُ وشِبْهُهُ[2]، والمُرَادُ بِهِمُ الأَصْنَامُ، أَوْ مَنْ يُطِيعُونَهُمْ مِن الرِّجَالِ، مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ، فالأَصْنَامُ أَنْدَادٌ، بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، أَيْ: أَمْثَالٌ، لَيْسَتْ أَنَّهَا أَنْدَاد لِلَّهِ تعالى[3].

حُبُّ اللهِ طاعَةٌ وامْتِثالٌ

3) ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾: مِنَ الجذْرِ (حبب)، وأَصْلُ هذه المادّة: اللُّزُومُ والثَّبَاتُ، مِنْ: أَحَبَّهُ إِذَا لَزِمَهُ[4]، وحَبَّةُ القَلْبِ تَشْبِيهًا بالحَبَّةِ في الهَيْئَةِ، وحَبَبْتُ فلانًا: أَصَبْتُ حَبّةَ قَلْبِهِ، وجَعَلْتُ قَلْبِي مُعَرَّضًا لحُبِّهِ، والمَحَبَّةُ: إِرَادَةُ مَا تَرَاهُ أَوْ تَظُنُّهُ خَيْرًا[5]، ومَحَبَّةُ العَبْدِ لِلَّهِ تعالى إِرَادَةُ طَاعَتِهِ، والاِعْتِنَاءُ بِتَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ[6].

أَشَدُّ النّاسِ حُبًّا للهِ، المُتَّبِعونَ لِرَسولِهِ ﷺ

4) ﴿أَشَدُّ﴾: مِنَ الجذْرِ (شدّ)، وأَصْل هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ في الشَّيْءِ[7]، والشَّدُّ: العَقْدُ القَوِيّ، يقالُ: شَدَدْتُ الشَّيْءَ: قَوّيتُ عَقْدَهُ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: 28][8]، و قَوْلُهُ: ﴿شَدِيدُ﴾: من مادّة (شدّ) أيضًا، شَدَّ الشَّيْءُ يَشِدُّ: قَوِيَ، فهُوَ شَدِيدٌ.

مَنْ فُتِحَتْ بَصيرَتُهُ، رَأَى بِعَيْنِهِ الحَقائِقَ، وذاقَ بِقَلْبِهِ الرَّقائِقَ

5) ﴿يَرَى﴾: مِنَ الجذْرِ (رأي)، والأَصْلُ فيه الدلالة عَلَى نَظَرٍ وإِبْصَارٍ بِعَيْنٍ أَوْ بَصِيرَةٍ[9]، والرُّؤْيَةُ: إدراكُ المَرْئِيِّ[10]، والمُرَادُ بالرُّؤْيَةِ هَاهُنَا: رُؤْيَةُ العَيْنِ المُتَعَدِّيَةُ إِلَى مَفْعُولٍ واحِدٍ[11].

6) ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾: مِنَ الجذْرِ (ظَلَمَ)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ على خِلَافِ الضِّيَاءِ والنُّورِ، ووَضْعِ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهِ تَعَدِّيًا[12]، ويَدُلُّ على

(1) الفيّومي، المصباح المنير: (ندد).
(2) الواحدي، التّفسير البسيط: 2/228.
(3) المصدر السّابق: 466/3.-467
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حبب).
(5) الراغب، المفردات: (حبب).
(6) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 1/117.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شدّ).
(8) الراغب، المفردات: (شدّ).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).
(10) الراغب، المفردات: (رأى).
(11) الواحدي، التّفسير البسيط: 3/472.
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ظلم).

حَجْبِ مَا يَنْبَغِي أَوْ مَا يُسْتَحقّ، أي منْعِه أو انْتِقاصِه، كَمَنْعِ الضَّوْءِ في حَالَةِ الظُّلْمَةِ، فالظَّلَامُ يَحْجُبُ الرُّؤْيَةَ[1]، والظُّلْمُ: المَيْلُ عَنِ القَصْدِ[2].

الظّلْمُ مَرْتَعُهُ وخيمٌ

7) ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مِنَ الجذْرِ (عذب)، وأصله من الضّرب بِعَذَبَةِ السّوطِ، وعَذَبَةُ السّوطِ واللّسانِ والشّجرِ: أطرافُها، والعَذَابُ: هو الإيجاعُ الشّديدُ، وقدْ عَذَّبَهُ تَعْذِيبًا: أكْثَرَ حَبْسَهُ في العَذَابِ[3].

العَذابُ دَلالَةٌ عَلى عَدْلِ اللهِ مَعَ عِبادِهِ

8) ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾: مِنَ الجذْرِ (قوي)، وأَصْلُ هذه المادّة يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وخِلَافِ ضَعْفٍ، والقَوِيُّ: خِلَافُ الضَّعِيفِ، ورَجُلٌ شَدِيدُ القُوَى، أَيْ شَدِيدُ أَسْرِ الخَلْقِ[4]، والقُوَّةُ تُسْتَعْمَلُ في مَعْنَى القُدْرَةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: 63]، وفي القُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، نَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: 21][5].

مَنْ قَوِيَ بِالتَّوَكُّلِ عَلى اللهِ، لَمْ يَرْهَبْ أحدًا سِواهُ

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

وبعدَ كُلِّ الأدِلّةِ والآياتِ النّاطِقَةِ بِتَوحيدِ اللّه تَعالى، هُناكَ فِئَةٌ مِنَ النّاسِ – مَعَ أَنَّهُمْ يُقِرّونَ بِهَذهِ الآياتِ، وأَنّ اللّه هُوَ الخَالِقُ الوحيدُ، والإلهُ العَظيمُ – يُسَوُّون بينَ هذا الخالِقِ العظيمِ، والرّبِّ الرَّحيمِ، وبَينَ كُبَرائِهِمْ، والأصنامِ الّتي يَعْبُدُونَها؛ لِتُقَرِّبَهم إلى اللّهِ كما يَدَّعونَ، فهم أضاعُوا الطّريقَ المُستقيمَ إلى اللّه؛ فاللّه تعالى عِنْدَهُمْ ربٌّ مَعَ أربابٍ، وإلهٌ بينَ آلِهَةٍ، فوَلاؤُهُمْ وحُبُّهُمْ قِسْمَةٌ بَينَ الآلِهَةِ والأربابِ في السَّرّاءِ، أمّا في الضّرّاءِ فلا يَدْعونَ إلّا اللّه، ولَيسَ هذا مِنَ الحُبِّ الّذي يرتضيهِ الإلَهُ، ولَيْسَ كذلكَ حُبُّ الّذينَ آمَنوا، وأَخْلَصوا إيمانَهُم لِلّهِ، فحُبُّهُمْ كلُّه للّهِ تعالى وحْدَهُ؛ لِأَنّهُم لا يُشْرِكُون معَ اللّه أحدًا، ويُحِبُّونَهُ في السّرّاءِ والضّرّاءِ.

الاعْتِصامُ بِالإيمانِ بِاللهِ مَنَعَةٌ، واللّجوءُ إلى غَيْرِهِ هَلَكَةٌ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ظلم).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (ظلم).
(3) الراغب، المفردات: ، ص: 455-554.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوي).
(5) الراغب، المفردات: (قوي).

الـوَحْـدانِـيّـةُ والـقُـوّةُ لـلـهِ وَحْدَهُ، والهَلاكُ لِمَـنْ أَشْـرَكَ بِـهِ سِواهُ

ولو يَرى المُشرِكونَ حَالَهُم في الآخِرَةِ، حِينَ يُشاهدونَ العَذابَ؛ لعَلِموا أنَّ المُتَفَرِّدَ بالقُوّة جَميعًا هُو اللّه، وأنَّهُ شَديدُ العَذابِ لمَنْ عَصاهُ، فلَوْ رَأَوْا ذلكَ لَما أَشْرَكوا مَعَهُ أحَدًا، فهُوَ انتقالٌ لما سيكون يَوْمَ القيامَة، يقرِّرُ نَهايَةَ حُبِّ الأندادِ مِن دُون اللّه تعالى؛ لأنَّهُ حُبٌّ أُعْطِيَ لآخَرينَ، بِصِفَةٍ لَيْسَتْ لَهُم، فأعْطَوْهُم ما لا يَسْتَحِقُّون، وهذا ظلمٌ كبيرٌ، ومَيْلٌ عن الحَقّ، وفي ذلك اليَوم سَيَرَوْنَ أنَّ المُلك للّه وحْدَهُ، وأنَّ القوّة كلَّها بيَدِه، ولَنْ يَدْفَعَ عَنْهُمْ أَحَدٌ العَذابَ الشّديدَ الّذي وُعِدوا بِهِ.

❁ الإيضاح اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

الاسْتِئْنافُ لِبَيانِ حالِ المُشْرِكينَ:

الآيَةُ من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾، اسْتِئْنافٌ لِبَيانِ حالِ المُشْرِكينَ، بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ أَدِلَّةَ التَّوْحيد، اسْتَأْنَفَ الكَلامَ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ مِن النَّاسِ فِئَةً لَمْ يَعْقِلُوا تِلْكَ الآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى التَّوْحِيدِ[1].

مَـنْ لَـمْ يَتَعَقّلْ دَلائِلَ التَّوْحيدِ، أضـاعَ عُـمْـرَهُ في الـكُـفْـرانِ والجُحودِ

دَلالَة (مِنْ) في قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾:

يَدُلُّ حَرْفُ الجَرِّ (مِنْ) عَلَى التَّبْعِيضِ؛ فالَّذينَ يَتَّخِذُونَ أَنْدَادًا مِنْ دُونِ اللّه تعالى، هُم بَعْضُ النَّاسِ، حيثُ إنّ "(مِنْ) لِلبَعْضِيَّة، أَيْ: بَعْض النَّاس، وفي ذَلِكَ تَصْغِيرٌ لِشَأْنِهِمْ، وتَهْوِينٌ لِأَمْرِهِمْ، سَوَاءٌ أَكَانُوا عَدَدًا قَلِيلًا، أَمْ كَانُوا عَدَدًا كَثِيرًا، فهم مَهِينُونَ في تَفْكِيرِهِمْ، إِذْ هُم رَفَضُوا الدَّلِيلَ المُشْتَقَّ مِنْ وُجُودِهِمْ، ومَا يُحِيطُ بِهِمْ، فضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا"[2].

مَـنْ رَفَـضَ الدَّليلَ، هَوى في مَتاهاتِ التَّخْييلِ

دَلالَةُ الاسْمِ المَوْصولِ (مَنْ):

التَّعْبِيرُ بِالاسْمِ المَوْصُولِ (مَنْ)؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْنِي أَشْخَاصًا بِأَعْيَانِهِمْ؛ ذلك أنّهُ يُرِيدُ التَّعْمِيمَ؛ حَيْثُ يَقْصِدُ الانْحِرافَ عَنْ عِبَادَةِ

الـقُـرْآنُ يُعْنَى بِالمُعتقداتِ، ولا يَلْتَفِتُ غالِبًا إلى الأشْخاصِ

(1) محمد بن سعد الدبل، دليل البلاغة القرآنيّة: 1/229.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/492-493.

اللَّه، ولَيْسَ الأَشْخَاصَ المُتَّخِذِينَ الأَنْدادَ، وهَذَا مِنْ دِقَّةِ التَّعْبِيرِ القُرْآنيِّ؛ لِأَنَّهُ يريدُ بيانَ العَقَائِدِ لا الأَشْخَاصِ.

دَلَالَةُ فعل (الِاتِّخَاذِ) في الآية:

التَّعْبِير بالفِعْلِ ﴿يَتَّخِذُ﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾؛ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ وُجُودَ الأَنْدَادِ مُصْطَنَعٌ، فلَيْسَ لَهَا وُجُودٌ ذَاتِيٌّ[1]، وفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَيْسُوا مُقَلِّدِينَ آبَاءَهُمْ وحَسب، بَلْ لَدَيْهِمْ إِصْرَارٌ وقَصْدٌ؛ لِذَا عَبَّرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ حُبِّهِمْ لَهُمْ، فكَأَنَّ الآيَةَ لَا تَعْنِي جَمِيعَ المُشْرِكِينَ، بَلْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ الأَنْدَادَ عَنْ قَصْدٍ وحُبٍّ، مُعْرِضِينَ عَنْ تِلْكَ الآيَاتِ الَّتِي تُظْهِرُ لَهُمْ وحْدَانِيَّةَ الخَالِقِ لِهَذَا الكَوْنِ، والتَّعْقِيبُ عَلَى تِلْكَ الآيَاتِ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ الأَنْدَادَ، ويُحِبُّونَهُمْ ويُعْرِضُونَ عَن الخَالِقِ الوَاحِدِ، مُنَاسِبٌ لِلآيَةِ السَّابِقَةِ؛ فهُمْ يَخْتَارُونَ الإِعْرَاضَ مَعَ تَوَفُّرِ الآيَاتِ.

التَّنديدُ بِأَصْحابِ المَقاصِدِ والفَهْمِ أشدُّ؛ لِأَنَّهُمْ ضَلّوا عَلى عِلْمٍ

نكتةُ إفْرادِ فِعْلِ ﴿يَتَّخِذُ﴾، وجَمْعِ فِعْلِ ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾:

الفعْلُ ﴿يَتَّخِذُ﴾ جاء مُفْرَدًا على لَفْظِ (مَنْ)، والفعلُ ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ جاء جَمْعًا، على مَعْنى (مَنْ)، لأنّ (مَنْ) مُفْرَدةٌ لفظًا، مَجْموعَةٌ مَعنًى[2]، فكانَ الاتِّخاذُ ﴿يَتَّخِذُ﴾، فِعْلًا فَرْدِيًّا مَعْزولًا، يُبادِرُ بِهِ النّخْبَةُ عادَةً، أمّا فِعْلُ مَحَبَّةِ الأصنامِ كحُبّ اللّه ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾، فهُو جَمْعٌ لأنّهُ مِنْ فعلِ العامَّةِ بَعْدَ الخاصَّةِ، وهُوَ شائعٌ مُنتَشِرٌ في البيئَةِ الجاهِليّةِ عادةً، والاتِّخاذُ فِعلٌ يُلاحظُ فيه الاتحادُ في الفِعلِ، بخلافِ الحبِّ فهو متفاوِتٌ في درجاتِه.

اتِّحادُ دَرَجَةِ المُتَّخِذين، وتفاوُتُ درجاتِ المُحبِّين

فائِدَةُ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

أفادَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معنى الإعراضِ عن اللّه تعالى، والانهماكِ في عبادَةِ ما سِواه؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ (دُونَ) تُؤْذِن بالحَيْلُولَةِ، فلو

الإعْراضُ عَنِ اللهِ خُسْرانٌ، وعِبادَةُ غَيْرِهِ هَوانٌ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/493.
(2) الشّيخلّي، بلاغة القرآن في الإعجاز: 1/363.

قيل: (اتَّخَذَهُ دُون اللَّه)، فالمَعْنَى: أَفْرَدَهُ وأَعْرَضَ عَن اللَّه، بينما معنى: (اتَّخَذَهُ مِنْ دُونِ اللَّه): جَعَلَهُ حَائِلًا عَنِ اللَّه، أَيْ أَشْرَكَهُ مَعَ اللَّه؛ لِأَنَّ الإِشْرَاكَ يَسْتَلْزِمُ الإِعْرَاضَ عَنِ اللَّه، في أَوْقَاتِ الشُّغْلِ بِعِبَادَةِ ذَلِكَ الشَّرِيك[1].

فائِدَةُ التَّنْكِيرِ في قَوْلِهِ: ﴿أَندَادًا﴾:

تنـوُّعُ الأنْـدادِ وكثرتُهم في كلّ عصرٍ وأوانٍ

في قَوْلِهِ عَزَّ جَلَّ: ﴿يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾، عَبَّرَ عَن الأَنْدَادِ بِالتَّنْكِيرِ؛ لِلتَّنْوِيعِ والتَّكثيرِ والإبهام، فالأَنْدَادُ كَثِيرُونَ؛ إِذْ يَدْخُلُ ضِمْنَهُم الأَصْنَامُ والآلِهَةُ، والسَّادَةُ والكُبَرَاءُ، ومن كانَ معلومًا عند نُزولِ الآيةِ ومن لم يكن معلومًا؛ كَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب: 67]، فإنَّ الأندادَ كثيرون، وفي كلِّ عصرٍ جديدٍ اختراعُ أندادٍ.

التَّعْبيرُ عَنِ الأَصْنَامِ بِالضَّمِيرِ الخَاصِّ بالعَاقِلِ:

التَّنبيهُ على خطورةِ الأندادِ العقلاءِ، وأنَّهم شرٌّ من غيرِهم

عَبّر بالضَّمِير (هُمْ) الخَاصِّ بالعُقَلَاءِ عَن الأَصْنَام، "وهِيَ لَا تَعْقِلُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ مِمَّنْ يَعْقِلُ ويَفْهَمُ، فخُوطِبُوا عَلَى مَا كَانَ في ظَنِّهِمْ، فأُجْرِيَتْ مُجْرَى مِنْ يَعْقِلُ"[2]، وهَذَا يَجْرِي عَلَى قَوْلِ مَنْ فسَّرَ الأَنْدَادَ بالأَصْنَام، وأمّا مَنْ فسَّرَهَا بِأَنَّهَا سَادَتُهُمْ مِن الرِّجَالِ، الَّذِينَ كَانُوا يُطِيعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّه تعالى، فالضَّمِيرُ يَجْرِي عَلَى حَقِيقَتِه، وهُوَ مَا رَجَّحَهُ الفَخْر الرَّازِيُّ، فالمُرَادُ بالأَنْدَادِ قَوْمٌ عُقَلَاءُ؛ ومِن الأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ اللَّه تعالى ذَكَرَ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البَقَرَة: 166]، وذَلِكَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِمَن اتَّخَذَ الرِّجَالَ أَنْدَادًا وأَمْثَالًا لِلَّه تعالى، يَلْتَزِمُونَ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ والانْقِيَادِ لَهُمْ، مَا يَلْتَزِمُهُ المُؤْمِنُونَ من الانْقِيَادِ لِلَّه تعالى[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/89.
(2) مكّيّ بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 1/535.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 4/175.

مَعْنَى التَّشْبِيهِ في قَوْلِهِ: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾:

من اشتَوى عِنْدَهُ حُبُّ اللهِ وحُبُّ سِـــواهُ، فـهُـوَ سـادِرٌ في غَـيِّـهِ وضلالِهِ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ تَشْبيه مُرْسَلٌ مُجْمَلٌ[1]؛ حَيْثُ ذُكِرَتِ الأَدَاةُ، وحُذِفَ وجْهُ الشّبَه، فشُبِّهَ حُبُّ الكُفَّارِ لِلأَصْنَام بِحُبِّ المُؤْمِنِينَ لِلَّه تعالى[2]، وذَكَرَ الزَّمَخْشَرِيُّ تَأْوِيلًا آخَر لِلتَّشْبِيه، فشَبَّهَ حُبَّ المُشْرِكِينَ لِلأَنْدَادِ، بِحُبِّ المُشْرِكِينَ لِلَّه تعالى: "كَحُبِّهِمُ اللَّه، أَيْ: يُسَوُّونَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ في مَحَبَّتِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ باللَّه، ويَتَقَرَّبُونَ إِلَيْه، فإِذَا رَكِبُوا في الفُلْك دَعَوُا اللَّه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"[3]، وهَذَا التَّأْوِيلُ "أَشْهَرُ؛ لأَنَّهُمْ يَلْتَجِئُونَ إِلَيْه تعالى في الشَّدَائِد، ويَدْعُونَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: 25]"[4]، ورجّح أَبُو السُّعُود أنّه: "مَصْدَرٌ تَشْبِيهِيٌّ، أَيْ نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ مُؤَكِّدٍ لِلفِعْلِ السَّابِق، ومِنْ قَضِيَّةِ كَوْنِهِ مَبْنِيًّا لِلفَاعِل، كَوْنُهُ أَيْضًا كَذَلِكَ، والظَّاهِرُ اتِّحَادُ فاعِلِهِمَا؛ فإِنَّهُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ بِهِ تعالى أَيْضًا، ويَتَقَرَّبُونَ إِلَيْه، فالمَعْنَى: يُحِبُّونَهُمْ حُبًّا كَائِنًا كَحُبِّهِمْ لِلَّه تعالى، أَيْ يُسَوُّونَ بَيْنَهُ تعالى وبَيْنَهُمْ في الطَّاعَةِ والتَّعْظِيم"[5].

إِيثَارُ الإِظْهَارِ عَلَى الإِضْمَارِ في قَوْلِهِ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾:

المؤمنـون أشـدُّ حُـبًّـا لـلـهِ، والـمُـشـرِكـون يَخلِطُون حُبَّهُ بِسِواهُ

آثَرَ النَّظْمُ إظهارَ اسْم الجَلالَة عَلَى إِضْمَارِه، مَعَ أَنَّهُ سَبَقَ ذِكْرُهُ في الآيَة، في قَوْلِه ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، فلم يَقُلْ: (كَحُبِّه)؛ "وَإِظْهَارُ الاسْم الجَلِيلِ في مَقَام الإِضْمَار؛ لِتَرْبِيَةِ المَهَابَة، وتَفْخِيمِ المُضَاف، وإِبَانَةِ كَمَالِ قُبْحِ مَا ارْتَكَبُوهُ"[6].

(1) محمد علي جميل، صفوة التّفاسير: 1/99.
(2) النيسابوري، التّفسير البسيط: 3/469.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/211.
(4) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 4/410.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 1/185.
(6) المصدر السّابق: 1/186.

دَلالَةُ الإيجَازِ بِالحَذْفِ في هَذِهِ الآيَةِ:

لا يَنْفَعُ الحُبُّ لِلّهِ، إلّا إذا صُفِّيَ تَمامًا مِنْ كَدَرِ الإشْراكِ

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾، أُضِيفَ المَصْدَرُ (حُبّ) إلَى المَفْعُولِ، وحُذِفَ الفَاعِلُ، وفي تَقْدِيرِ الفَاعِلِ طَرِيقَتَانِ: إحداهما: أَنَّ المَعْنَى: كَحُبِّ المُؤْمِنِينَ اللّه، أَيْ: يُحِبُّونَ الأَصْنَامَ كَمَا يُحِبُّ المُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ، الثَّانِية: أَنَّ المَعْنَى: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ، أَيْ: يُسَوُّونَ بَيْنَ هَذِهِ الأَصْنَامِ وبَيْنَ اللّهِ ﷻ في الحُبِّ، فيَكُونُ تَقْدِيرُ الآيَةِ: يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِم اللّه، فالمُشْرِكُونَ هُمُ المُحِبُّونَ، وبِهَذَا فقَدْ أَثْبَتَ لِلمُشْرِكِينَ حُبًّا لِلّهِ، فشَبَّهَ حُبَّهُمُ الأَصْنَامَ بِحُبِّهِمُ اللّه تَعالى[1]، ويَصِحُّ أَنْ يُقَدَّرَ: يُحِبُّونَهُمْ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُحَبَّ اللّهُ تعالى[2].

دَلالَةُ التَّعْبِيرِ عَنِ الحُبِّ بـ﴿أَشَدُّ﴾ دُونَ (أَحَبُّ) في الآيَةِ:

مَحَبَّةُ المُؤمِنِينَ للهِ خالِيَةٌ مِنَ الشَّوائِبِ، خالِصَةٌ لَهُ مِنْ دُونِ النّاسِ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، فِيهِ تَصْرِيحٌ بِشِدَّةِ الحُبِّ، مَعَ مَا فِيهِ مِن المُقَارَنَةِ والمُفَاضَلَةِ، وبِهَذَا فهُوَ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: (أَحَبُّ لِلّهِ)، قال البَيْضَاوِيُّ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البَقَرَة: 74]: "وإنَّمَا لَمْ يَقُلْ: (أَقْسَى)؛ لِمَا في ﴿أَشَدُّ﴾ من المُبَالَغَةِ، والدَّلَالَةِ عَلَى اشْتِدَادِ القَسْوَتَيْنِ، واشْتِمَالِ المُفَضَّلِ عَلَى زِيَادَةٍ"[3]، وقَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَشَدُّ حُبًّا﴾ مِثْلُهُ؛ "لِأَنَّ فِيهِ إشَارَةً إلَى أَنَّ المَحَبَّتَيْنِ مُشْتَدَّتَانِ، والمُفَضَّلَ - أَعْنِي مَحَبَّةَ المُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ - مُشْتَمِلٌ عَلَى زِيَادَةِ الاشْتِدَادِ من المُفَضَّلِ عَلَيْهِ - وهُوَ مَحَبَّةُ المُشْرِكِينَ الأَنْدَادَ ... فلَوْ قِيلَ: (أَحَبُّ لِلّهِ)؛ لَفَاتَتْ هَذِهِ المُبَالَغَةُ؛ ولَفُهِمَ أَنَّهُمْ والمُشْرِكِينَ مُتشارِكُان في نَفْسِ المَحَبَّةِ، واشْتِمَالُ المُفَضَّلِ عَلَى زِيَادَةِ المَحَبَّةِ، لَا اشْتِدَادِهَا، ولَا رَيْبَ في أَنَّ زِيَادَةَ اشْتِدَادِ المَحَبَّةِ، أَبْلَغُ وأَقْوَى مِنْ زِيَادَةِ نَفْسِ المَحَبَّةِ"[4].

(1) النيسابوري، التّفسير البسيط: 3/468-469.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/91.
(3) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 1/88.
(4) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 4/412.

وجْهُ وصْفِ حُبِّ المُؤْمِنِينَ بِالشِّدَّةِ في قَوْلِهِ: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾:

حُبُّ المؤمنين لله حُبٌّ خالِصٌ، لا يضعُفُ بأدنى الأسْبابِ

عَبَّرَ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ ﴿أَشَدُّ﴾؛ لِأَنَّهُ فضَّلَ مَحَبَّةَ المُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ مِنْ حُبِّ الكَفَرَةِ لِأَنْدَادِهِمْ[1]، وقَدْ بَيَّنَ الزَّمَخْشَرِيُّ سَبَبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "لِأَنَّهُمْ لَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، بِخِلَافِ المُشْرِكِينَ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْدِلُونَ عَنْ أَنْدَادِهِمْ إِلَى اللَّهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، فَيَفْزَعُونَ إِلَيْهِ، وَيَخْضَعُونَ لَهُ، وَيَجْعَلُونَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ، وَيَعْبُدُونَ الصَّنَمَ زَمَانًا ثُمَّ يَرْفُضُونَهُ إِلَى غَيْرِهِ[2]، وفي ذَلِكَ أَضَافَ الشَّيْخُ ابنُ عَاشُور: أَيْ أَشَدُّ مِنْ مَحَبَّةِ أَصْحَابِ الأَنْدَادِ أَنْدَادَهُمْ، ومِنْ مَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ لِلّهِ، مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِاللَّهِ مَعَ الأَنْدَادِ، لِأَنَّ مَحَبَّةَ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ المُحِبِّينَ، لَا تَبْلُغُ مَبْلَغَ مَحَبَّةِ المُؤْمِنِينَ لِلّهِ تعالى؛ لِأَنَّ إِيمَانَهُمْ بِهِمْ لِأَغْرَاضٍ عَاجِلَةٍ، كَقَضَاءِ الحَاجَاتِ، ودَفْعِ المُلِمَّاتِ، بِخِلَافِ حُبِّ المُؤْمِنِينَ لِلّهِ؛ فَإِنَّهُ حُبٌّ لِذَاتِهِ، وأَغْرَاضُهُمْ أَعْظَمُهَا آجِلَةٌ، يَبْتَغُونَ رَفْعَ الدَّرَجَاتِ، وتَزْكِيَةَ النَّفْسِ[3].

إيثَارُ الإِظْهَارِ عَلَى الإِضْمَارِ:

تفخيمُ حُبِّ اللهِ وتَشريفُه، إشعارًا بأنّه سببُ العملِ

آثَرَ أَنْ يُظْهِرَ اسْمَ الجَلَالَةِ عَلَى الإِضْمَارِ، فقَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، ولَمْ يَقُلْ: (أشدُّ حُبًّا لَهُ)؛ وغايتُهُ تَفْخِيمُ وتَشْرِيفُ حُبِّ اللَّهِ تعالى، مِمّا عَبَّرَ عَنْهُ أبو السُّعودِ بِقَوْلِهِ: "وَإِيثَارُ الإِظْهَارِ في مَوْضِعِ الإِضْمَارِ لِتَفْخِيمِ الحُبِّ والإِشْعَارِ بِعِلَّتِهِ"[4].

دَلَالَة حَذْفِ المُفَضَّلِ عَلَيْهِ في قَوْلِهِ: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾:

حُبُّ المؤمنين لا يَنقطِعُ ولا ينقلبُ بُغضًا، كحُبِّ المُشْرِكين لِلأنْدادِ

"المُفَضَّلُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ، أَيْ: المُؤْمِنُونَ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ تعالى مِنْهُمْ لِأَنْدَادِهِمْ، ومَآلُهُ أَنَّ حُبَّ أُولَئِكَ لَهُ تعالى أَشَدُّ مِنْ حُبِّ هَؤُلَاءِ لِأَنْدَادِهِمْ، فِيهِ مِن الدَّلَالَةِ عَلَى كَوْنِ الحُبِّ مَصْدَرًا مِن المَبْنِيّ

(1) إسماعيل حقي، روح البيان: 1/270.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/211.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/92.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 1/186.

لِلفَاعِلِ مَا لا يَخْفَى؛ وإِنَّمَا لـمْ يجْعَلِ الـمُفَضَّلُ عَلَيْهِ حُبَّهُمْ لِلّهِ تعالى؛ لِمَا أَنَّ الـمَقْصُودَ بَيَانُ انْقِطَاعِهِ وانْقِلَابِهِ بُغْضًا، وذَلِكَ إِنَّمَا يُتَصَوَّرُ في حُبِّهِمْ لِأَنْدَادِهِمْ؛ لِكَوْنِهِ مَنُوطًا بِمبَانٍ فاسِدَةٍ، ومَبَادٍ مَوْهُومَةٍ، يَزُولُ بِزَوَالِهَا، قِيلَ: ولِذَلِكَ كَانُوا يَعْدِلُونَ عَنْهَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ إِلى اللّهِ سُبْحَانَهُ"[1].

فائِدَةُ الوَصْلِ بين الجُمَلِ:

انتقالٌ من بيانِ الأسبـاب إلى بيانِ الـمُسبَّباتِ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ ذَلِكَ لَمّا كَانَ شَرْحًا لِحَالِ ضَلَالِهِم الفَظِيعِ في الدُّنْيَا، مِن اتِّخَاذِ الأَنْدَادِ لِلّهِ، مَعَ ظُهُورِ أَدِلَّةِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وهو مُؤْذِنٌ بالتَّعْجِيبِ مِنْ حَالِهِمْ، وزِيدَ في شَنَاعَتِهِ أَنَّهُمْ أَحَبُّوهَا كَحُبِّهِ، نَاسَب أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى ذَلِكَ[2] المشهدِ الغَيْبِيِّ، الذي بَيَّن حالَهم في الآخرةِ بعد بيانِها في الدُّنيا، فهو انتقالٌ من بيانِ الأسباب إلى بيانِ الـمُسبَّباتِ.

فائِدَةُ حَذْفِ جَوابِ (لوْ):

مَـنْ عَـرَفَ اللهَ؛ ما أحبَّ سِواه

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: حُذِف جوابُ ﴿وَلَوْ﴾ لغايَةِ الاخْتِصارِ، وتَقْدِيرُهُ: لَعَلِمُوا أو لَنَدِمُوا عَلى الشِّرْكِ به سبحانه، أو لَما أحبُّوا تلك الأندادَ، ولَأقرُّوا أنّ القوّة لله جميعًا، والمصدرُ المؤوَّلُ ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، في محلِّ نَصبِ مفعولِ (أقرُّوا)، كما حُذف مفعُولُ ﴿يَرَى﴾ اختصارًا أيضًا، والتّقديرُ: (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ حَالَهُمْ)[3].

نكتةُ إِظْهَارِ ما حقُّه الإِضْمَارُ:

بيانُ عِلَّةِ الظُّلم بالنَّصِّ عليه

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، لَم يَقُلْ: (وَلَوْ يَرَوْنَ)؛ فـ"وَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الـمُضْمَرِ، واخْتِيرَ المَوْصُولُ؛ لِلتَّسْجِيلِ عَلَى

(1) المصدر السّابق: 1/186.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/93.
(3) بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز: 1/363.

ظُلْمِهِمْ بِالاتِّخَاذِ المَذْكُورِ؛ وللإِشْعَارِ عَلَى عِلِّيَّة الحُكْمِ"[1]، فهُوَ لِبَيَانِ سَبَبِ العَذَابِ، وهُوَ الظُّلْمُ المُعَبَّرُ عَنْهُ بالمَوْصُولِ وصِلَتِهِ.

تنوُّعُ تقديرِ حَذْفِ مفعولِ ﴿يَرَى﴾:

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾، "حُذِفَ مَفْعُولُ ﴿يَرَى﴾؛ لِدَلَالَةِ المَقَامِ، تَقْدِيرُهُ: لَوْ يَرَوْنَ عَذَابَهُمْ، أَوْ لَوْ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ يَكُونُ ﴿إِذْ﴾ اسْمًا غَيْرَ ظَرْفٍ، أَيْ لَوْ يَنْظُرُونَ الآنَ ذَلِكَ الوَقْتَ، فيَكُونُ بَدَلَ اشْتِمَالٍ مِن الذينَ ظَلَمُوا"[2].

حَذْفُ المَفْعُولِ بِهِ لِلتَّعْمِيمِ في قَوْلِهِ: ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾:

حُذِفَ المَفْعُولُ بِهِ الَّذِي يَقْتَضِيه الفِعْلُ ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ التَّعْمِيمَ؛ إِذْ إِنَّ التَّعْبِيرَ عَنِ اتِّخَاذِهِمُ الأَنْدَادَ بِالظُّلْمِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ تَعَدٍّ عَلَى عِدَّةِ حُقُوقٍ؛ فقَدِ اعْتَدَوْا عَلَى حَقِّ اللَّهِ تعالى، مِنْ وُجُوبِ تَوْحِيدِهِ، واعْتَدَوْا عَلَى مَنْ جَعَلُوهُمْ أَنْدَادًا لِلَّهِ تعالى، العُقَلَاءِ مِنْهُمْ وغَيْرِ العُقَلَاءِ، ظَلَمُوهُمْ إِذْ كَانُوا سَبَبًا لِهَوْلٍ يَحْصُلُ لَهُمْ مِن السُّؤَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَمَا قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المَائِدَة: 116]، وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ في ذَلِكَ بِتَعْرِيضِهَا لِلسُّخْرِيَةِ في الدُّنْيَا، ولِلعَذَابِ في الآخِرَةِ، وظَلَمُوا أَعْقَابَهُمْ، وقَوْمَهُمُ الذينَ يَتْبَعُونَهُمْ في هَذَا الضَّلَالِ، فتَمْضِي عَلَيْهِ العُصُورُ والأَجْيَالُ[3].

الظُّلْمُ يَسْري ويَسْتَشْري في النَّفْسِ والمُحيطِ، حَتّى يُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ

بلاغةُ اجْتِماعِ ﴿إِذْ﴾ الدّالَّةِ على الماضي، و(لَوْ) الدّالَّةِ على المُسْتَقْبَل:

جُمِعَ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ بَيْنَ ﴿إِذْ﴾ الدَّالَّةِ عَلَى المَاضِي، و﴿لَوْ﴾ في قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ الدَّالَّةِ عَلَى المُسْتَقْبَلِ، وفي بَيَانِ ذَلِكَ قال الوَاحِدِيُّ: "فإِنْ قِيلَ: كَيْفَ جَاءَتْ

الظُّلْمُ شَنيعٌ مَهما كان زَمانُهُ، ماضِيًا أوْ حاضِرًا أو مُسْتَقبَلًا

(1) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: 4/413.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/93.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/94.

﴿إِذْ﴾ في قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ وهَذَا أَمْرٌ مُسْتَقْبَلٌ، و﴿إِذْ﴾ لِمَا مَضَى؟ قِيلَ: إِنَّمَا جَاءَ عَلَى لَفْظِ المُضِيِّ؛ لِإِرَادَةِ التَّقْرِيبِ في ذَلِكَ، كَمَا جَاءَ: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النَّحل: 77]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشُّورَى: 17]، فلَمَّا أُرِيدَ فِيها التَّحْقِيقُ والتَّقْرِيبُ؛ جَاءَ عَلَى لَفْظِ المُضِيِّ، وعَلَى هَذَا جَاءَ في مَا هُوَ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ أَمْثِلَةُ المَاضِي، كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأَعْرَاف: 44]، ومِمَّا جَاءَ عَلَى لَفْظِ المُضِيِّ لِلتَّقْرِيبِ مِن الحَالِ: قَوْلُ المُقِيمِ: (قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ)، يَقُولُ ذَلِكَ قَبْلَ إِيقَاعِهِ التَّحْرِيمَ بِالصَّلَاةِ؛ لِقُرْبِ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ، وقَدْ جَاءَ كَثِيرٌ مِمَّا في التَّنْزِيلِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ [الأَنْعَام: 27]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأَنْعَام: 93]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ﴾ [سَبَأ: 51]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [الأَنْفَال: 50]، فكَمَا جَاءَتْ هَذِهِ الآيَةُ الَّتِي يُرَادُ بِهَا الاِسْتِقْبَالُ، بـ﴿إِذْ﴾، كَذَلِكَ جَاءَ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ﴾[1].

مَقْصَدُ حَذْفِ جَوَابِ (لَوْ):

أَحْسَنُ الرُّؤى، ما ذَهَبَ القَلْبُ فيه كلَّ مَذْهَبٍ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾، لَم يرِدْ فِيهِ جَوَابُ (لَوْ)، فهُوَ مَحْذُوفٌ، ومِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ في القُرْآنِ الكَرِيمِ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الرَّعْد: 31]، وقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأَنْعَام: 27]، وقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأَنْعَام: 93]، والحكمةُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَذْفَ جَوَابِ (لَوْ) في مِثْلِ هَذه الآي، يَكُونُ أَفْخَمَ وأَبْلَغَ؛ لِذَهَابِ المُخَاطَبِ المُتَوَعَّدِ إِلَى كُلِّ ضَرْبٍ مِن الوَعِيدِ، ولَوْ ذُكِرَ لَهُ ضَرْبٌ مِن الوَعِيدِ لَمْ يَكُنْ مَثْلَ أَنْ يُبْهَمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يُوَطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ المَذْكُورِ، ومَنْ وطّنَ نَفْسَهُ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَصْعُبْ عَلَيْهِ صُعُوبَتُهُ عَلَى مَنْ لَمْ يُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وقَدْ أَحْسَنَ أَبُو القَاسِمِ النَّيْسَابُورِيُّ في صِيَاغَةِ قَاعِدَةٍ بَيَانِيَّةٍ مِنْ ذَلِكَ، فقَالَ: "(لَوْ): إِذَا جَاءَ فِيمَا يُشَوَّقُ إِلَيْهِ، أَوْ يُخَوَّفُ مِنْهُ، قَلَّما يُوَصَلُ بِجَوَابِهِ؛ لِيَذْهَبَ القَلْبُ فِيهِ كُلَّ مَذْهَبٍ"[2].

(1) النيسابوري، التّفسير البسيط: 3/476-477.

(2) إيجاز البيان عن معاني القرآن: 1/130.

فائِدَةُ تأكيدِ القوَّة بـ﴿جَمِيعًا﴾ في قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

قـوّةُ غـيرِ اللهِ بالنّسبَةِ لِقُوَّةِ اللهِ كالعَدَمِ

الخَبَرُ المُؤَكَّدُ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، أَفَادَ كَوْنَ القُوَّةِ لِلّهِ تعالى، وهَذَا التَّأْكِيدُ لَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ مَا قُوَّةٌ، فجَاءَ بـ ﴿جَمِيعًا﴾؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ قُوَّةَ غَيْرِهِ كَالعَدَمِ، وانْتَصَبَ ﴿جَمِيعًا﴾ عَلَى التَّوْكِيدِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾، أَيْ: جَمِيعُ جِنْسِ القُوَّةِ ثَابِتٌ لِلَّهِ، وهُوَ مُبَالَغَةٌ لِعَدَمِ الاعْتِدَادِ بِقُوَّةِ غَيْرِهِ، فمُفَادُ ﴿جَمِيعًا﴾ هُنَا، مُفَادُ لَامِ الاسْتِغْرَاقِ في قَوْلِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفَاتِحَة: 02][1]، وكذلك يصحُّ أن يُعربَ حالًا من الجارِّ والمجرورِ، وهو يُفيدُ التَّوْكِيدَ بمعنى كل[2]، فعلى الوَجْهين التَّوْكِيدُ حاضرٌ.

فائدةُ الوَصْلِ في قَوْلِهِ: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾:

تهويلُ الخَطْبِ بعطفِ شِدَّةِ العذابِ على كونِ القوَّةِ لله جميعًا

عَطَفَ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ بالوَاوِ؛ لِاتِّحَادِهِمَا في الخَبَرِيَّةِ؛ فكُلُّ جُمْلَةٍ تَحْمِلُ خَبَرًا مُبَايِنًا لِخَبَرِ الأُخْرَى، "وفَائِدَتُهُ: المُبَالَغَةُ في تَهْوِيلِ الخَطْبِ، وتَفْظِيعِ الأَمْرِ؛ فإِنَّ اخْتِصَاصَ القُوَّةِ بِهِ تعالى، لَا يُوجِبُ شِدَّةَ العَذَابِ؛ لِجَوَازِ تَرْكِهِ عَفْوًا مَعَ القُدْرَةِ عَلَيْهِ"[3].

إيثَارُ الإِظْهَارِ عَلَى الإِضْمَارِ في قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾:

شِدَّةُ العَذابِ مُهابَةٌ كَمَنْ صَدَرَتْ عنه

آثَرَ أَنْ يُعَبِّرَ بِلَفْظِ الجَلَالَةِ دُونَ الضَّمِيرِ، في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾، فلَمْ يَقُلْ: (وَأَنَّهُ شَدِيدُ العَذَابِ)؛ لِتَرْبِيَةِ المَهَابَةِ، وتَفْخِيمِ العَذَابِ، والمُبَالَغَةِ في شِدَّتِهِ، وإِظْهَارِ سُوءِ صَنِيعِهِمْ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العَذَاب والعِقاب:

في عِقابِ الآخِرَةِ حِفْظٌ لِلحُقوقِ، وإِنْصافٌ لِلضُّعَفاءِ والمَظْلومينَ

العِقَابُ يُنبِئُ عَن اسْتِحْقَاقٍ، وسُمِّيَ بِذلك؛ لِأَنَّ الفَاعِلَ يسْتَحِقُّهُ عَقِيبَ فعلِهِ، ويجوزُ أَن يَكونَ العَذَابُ مُسْتَحَقًّا وغيرَ مُسْتَحَقٍّ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/95.
(2) السمين، الدر المصون: 2/216.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 1/186، وإسماعيل حقي، روح البيان: 1/270.

وأصل العقَابِ التُّلُوُّ، وهُوَ تأديَةُ الأوّل إِلَى الثَّانِي، يُقَال: عَقِبَ الثَّانِي الأوّلَ: تَلاهُ، وعقَبَ اللَّيْلُ النَّهَارَ[1].

والعقابُ يقتضي بِظاهِرِه الجزاءَ على فِعْلِه؛ لأنّهُ مِنَ التّعقيبِ والـمُعاقَبَةِ، والعَذابُ ليسَ كذلِكَ؛ إذ يُقالُ للظّالـمِ الـمُبتدئِ بالظّلم إنّه مُعذِّبٌ، وإنْ قيلَ معاقِبٌ فهوَ على سبيل المجازِ لا الحَقيقَةِ، فبَينَهما عُمومٌ وخُصوصٌ[2].

القُوَّة والشِّدَّة:

اللـــــهُ ذُو الـقُـوّة المـتـينُ، وبِـيَـدِهِ مَقاليدُ الـسّـمـاواتِ والأرضِ

الشِّدَّةُ في الأَصْل هِيَ مُبَالغَةٌ في وَصْفِ الشَّيْءِ في صلابَةٍ، ولَيْسَت هي من قَبيلِ القُدْرَةِ؛ ولِهَذَا لَا يُقَال للّه: شَدِيدٌ، والقُوَّة من قبيل القُدْرَةِ، وتَأْويل قَوْله تعالى: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الروم: 9]، أَيْ أَقْوى مِنْهُم، وفي القُرْآن: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: 58]، أَي العَظِيمُ الشَّأْن في القُوَّة، وهُوَ اتِّساعٌ[3].

(1) الفروق اللّغويّة، ص: 239.
(2) الفروق اللّغويّة، ص: 365.
(3) الفروق اللّغويّة، ص: 107.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»